

الشفاء

بتعريف حقوق المصطفى

للعالم العلامة المحقق
القاضي أبي الفضل عياض اليعصب
المتوفى سنة ٥٤٤ هـ

وقد ذيلناه بالهامية اللطيفة المسماة
مزيل الخفاء : عن ألفاظ الشفاء
للعامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني
المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بيروت - لبنان

ترجمة القاضى عياض^(١)

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي ، الإمام العلامة ، يكنى أبا الفضل ، سبى الدار والميلاد ؛ أندلسى الأصل .

قال ولده محمد : كان أجدادنا فى القديم بالأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك . وانتقل عمرو بن سبته بعد سكنى فاس . وكان القاضى أبو الفضل إمام وقته فى الحديث وعلومه ، عالماً بالتفسير وجميع علومه ، فقيهاً أصولياً عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، بصيراً بالأحكام ، عاقداً للشروط ، بصيراً حافظاً لمذهب مالك رحمه الله تعالى ، شاعراً مجيداً رياناً من علم الادب ، خطيباً بليغاً صبوراً حليماً جميل العشرة ، جواداً سمحاً كثير الصدقة ؛ دؤوباً على العمل ، صلباً فى الحق .

رحل إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائة طالباً العلم ؛ فأخذ بقرطبة عن القاضى أبي عبد الله محمد بن على بن حمدين ، وأبي الحسين بن سراج ، وعن أبي محمد بن عتاب وغيرهم وأجاز له أبو على الغسانى ، وأخذ بالمشرق عن القاضى أبي على حسين بن محمد الصدقى وغيره ، وعنى بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وأخذ عن أبي عبد الله المازنى : كتب إليه يستجيزه ، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشى ، ومن شيوخه : القاضى أبو الوليد بن رشد . قال صاحب الصلة بالشكوالية : وأظنه سمع عن أبي زيد ، وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز له مائة شيخ وذكر ولده محمد منهم : أحمد بن بقى ، وأحمد بن محمد بن محمد ابن مكحول ، وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفى ، والحسن بن محمد بن سكره ، والقاضى أبو بكر بن العربى ، والحسن بن على بن طريف ، وخلف بن إبراهيم بن النحاس ، ومحمد بن أحمد بن الحاج القرطبى ، وعبد الله بن محمد الخشنى وغيرهم ممن يماول ذكرهم .

(١) نقلت هذه الترجمة من كتاب الديباج الذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب للعلامة برهان الدين

ابن فرحون المالكي .

قال صاحب الصلة : وجمع من الحديث كثيراً وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل التفنن في العلم واليقظة والفهم ، وبعد عودته من الأندلس أجله أهل سبتة للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها ، ثم أجلس للشورى ثم ولى قضاء بلده مدة طويلة حُمدت سيرته فيها ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل أمره بها ، ثم ولى قضاء سبتة ثانياً . قال صاحب الصلة : وقدم علينا قرطبة فأخذنا عنه بعض ما عنده . قال الخطيب : وبنى الزيادة الغربية في الجامع الأعظم وبنى في جانب المينا الرتبة الشهيرة وعظم صيته . ولما ظهر أمر الموحدين بادر إلى المسابقة بالدخول في طاعتهم ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا ، فأجزل صلته ، وأوجب بره ، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة فتلاشت حاله ، ولحق بمراكش مشرداً به عن وطنه فكانت بها وفاته .

وله التصانيف المفيدة البديعة منها كمال المعلم : في شرح صحيح مسلم ؛ ومنها كتاب الشفا : بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم أبدع فيه كل الإبداع ، وسلم له أكفاؤه كفاءته فيه ولم ينزعه أحد في الانفراد به ولا أنكروا مزية سبق إليه بل تشوفوا للوقوف عليه ، وأنصفوا في الاستفادة منه ، وحمله الناس عنه ، وطارت نسخه شرقاً وغرباً ؛ وكتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخارى ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجواهر لكان قليلاً في حقه ، وفيه أنشد بعضهم :

مَشَارِقُ أَنْوَارٍ تَبَدَّتْ بِسَبْتَةٍ وَمِنْ عَجَبِ كَوْنِ الْمَشَارِقِ بِالْغَرْبِ

وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة : جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل ؛ وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك وكتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام ؛ وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع ؛ وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ؛ وكتاب الغنيمة في شيوخه ؛ وكتاب المعجم في شيوخ ابن سكره^{هـ} ؛ وكتاب نظم البرهان على حجة جزم الأذان ؛ وكتاب مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور ؛ ومما لم يكمله : المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ، وكتاب العيون الستة في أخبار سبتة ، وكتاب غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور

والترسل ، وكتاب الأجوبة المحبرة على الأسئلة المتخيرة ، وكتاب أجوبة القرطبيين ، وكتاب أجوبته عما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام في سفر ، وكتاب سر السراة في أدب القضاة ، وكتاب خطبه وكان لا يخطب إلا بإنشائه ، وله شعر كثير حسن رائق فمنه قوله :

يا من تحمل عنى غير مكترث لكنه للضنى والسقم أوصى بى
تركتنى مستهام القلب ذا حرق أخا جووى وتباريح وأوصاب
أراقب النجم فى جنح الدجى سمرآ كأنى راصد للنجم أو صابى
وله رحمه الله تعالى :

الله يعلم أنى منذ لم أركم كيمائر خانة ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم فإن بعدكم عنى جنى حينى
وله من أبيات :

إن البخيل بلحظه أو لفظه أو عيافه أو رفقه لبخيل
وله فى خامات الزرع بينها شقائق النعمان هبت عليها أرياح :
أنظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح
وله غير ذلك .

كان مولد القاضى عياض بسبته فى شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وتوفى بمراكش فى شهر جمادى الآخرة وقيل فى شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقيل إنه مات مسموماً سمه يهودى .

ودفن رحمه الله تعالى بباب إيلان داخل المدينة .

و « عياض » بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة التحتية وبعد الألف ضاد معجمة و « اليحصى » بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها ياء موحدة نسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير ، وسبته مدينة مشهورة ، وغرناطة : مدينة بالاندلس وهى بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ثم نون مفتوحة بعدها ألف وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء ويقال فيها أغرناطة بألف قبل الغين .

ترجمة العلامة الشُّمْنِيّ (١)

صاحب الحاشية

هو أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد التقي السكندري المولد القاهري المنشأ الحنفي ويعرف بالشُّمْنِيّ بضم المعجمة والميم ثم نون مشددة نسبة لمزرعة ببلاد المغرب أو لقرية بها ولد في العشر الأخير من رمضان سنة إحدى وثمانمائة واشتغل أولاً مالكيًا ثم تحول حنفيًا لكون البساطي فيما قيل قدم عليه بعض من هو دونه من رفقائه وبرع في الفقه والأصليين والعربية والمعاني والبيان والمنطق والصرف والهندسة والهيئة والحساب وسمع الحديث على جماعة وبحث على شيخنا دروساً من شرح ألفية العراقي ولازمه بعد والده فأحسن إليه وساعده في استخلاص مبالغ من وثب عليه في بعض وظائف أبيه وزاد إقبالاً عليه حين وقع السؤال عن حكمة الترقى من الذرة إلى الحبة إلى الشعيرة في حديث ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخاقي فأيخلقوا ذرة الحديث . وأجاب التقي بديهية بأن صنع الأشياء الدقيقة فيه صعوبة والأمر بمعنى التعجيز فناسب التدلي من الأعلى إلى الأدنى فاستحسنه شيخنا فزاد في إكرامه والتعريف بفضيلته وتصدي للإقراء ، وصنف حاشية على المغني لخصها من حاشية الدماميني وزاد عليها أشياء نفيسة سماها المنصف من الكلام على مغني ابن هشام ، وتعليقاً لطيفاً في ضبط ألفاظ الشفاء لخصه من شرح البرهان الحاي وأتى بتمات يسيرة فيها تحقيقات دقيقة سماه « مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء » وغير ذلك وأقرأ في العقلية بدون ملاحظة كراس ولا حاشية وقد اتفق دخول اثنين من فضلاء العجم الجمالية فوجداه يقرئ في المطول بدون كراس فجلسا عنده وبحثاً معه واستشكلا عليه فلم ينقطع منهما بل أضمهما بحيث امتلأت أعينهما من جلالته وصرحا بعد انفصالهما عنه لبعض أخصائه بأنهما لم يظنا أن في أبناء العرب من ينهض فحكاه للشيخ فتبسم وقال بذلك قد أقرأته اثني عشر مرة بغير مطالعة وكان إماماً علامة سنياً متين الديانة ممن ينسب إلى التصوف لم يتدنس بما يحط مقداره وقد عم النفع به حتى بقي جل الفضلاء من سائر المذاهب من أهل مصر بل وغيرها من تلامذته

(١) من البدر الطالع المنتخب من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .

واشتدت رغبتهم في الأخذ عنه وتزاحموا عليه وهرعوا صباحا ومساء إليه ، وامتدحه من الشعراء : الشهاب المنصوري وغيره كل ذلك مع الشهامة وحسن الشكالة والابهة وبشاشة الوجه ومحبة الحديث وأهله وقد حضرت كثيراً من دروسه وتقنعه بخلوة في الجمالية يسكنها وأمة سوداء لقضاء وطره وغير ذلك وقد استقر به قانباى الجركسى في خطابة تربته ومشیخة الصوفية بها وتحول إليها ولم يكن يحابى في الدين أحداً بحيث التمس منه بعض الشبان من ذوى البيوت إذنه له في التدريس بعد أن أهـدى إليه شيئاً فبادر لرد الهدية وامتنع من الإذن وربما كتب فيما لا يرتضيه لقصد جميل ككتابه على كراس من تفسير البقاعى الذى سماه المناسبات فإنه قال لى حين عاتبته على ذلك إنما كتبت لصونه عما رام تمریفاً أن يوقعه به ووالله ما طالعتـه وليس هو عندى فى زمرة العلماء ولم تكن له رغبة فى الكتابة على الفتوى مع سؤالهم له ولا فى حضور عقود المجالس وقد خطبه الشهاب ابن العینی أيام ضخامته للحضور عنده وألح عليه وكان قرره متصديراً فيما جده بمدرسة جده فلم يجد بداً من إجابته وجاء العبادى ليجلس فوقه بينه وبين الحنفى فما مكنه الشهاب وحول العبادى إلى جهة يمينه ، بل خطب لقضاء الحنفية فأبى بعد مجيء كاتب السر إليه وإخباره بأنه إن لم يجب نزل إليه السلطان فصمم وقال الاختفاء ممكن فقال له كاتب السر فيماذا تجيب إذا سألك الله تعالى عن امتناعك بعد تعيينه عليك فقال يفتح الله تعالى حينئذ بالجواب ولم يزل على وجهته إلى أن تمعلل ومات فى ليلة الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة بمنزل سكنه من التربة المشار إليها وصلى عليه عند بابها ودفن بها وخلف ذكرين وأنثى من جارية وألف دينار وحفظت جهاته لولديه رحمه الله تعالى وإيانا ؟